توفيق بن بريك

الآن أصغ إليّ

دار الصبّار للنشر
اللجنة العربية لحقوق الإنسان – البرنامج العربي لنشطاء حقوق الإنسان

طبعة خاصة للتضامن مع الصديق توفيق بن بريك ودار نشر الصبار توزع مجانا تصدرها اللجنة العربيـــة لحقوق الإنسان والبرنامج العربي لنشطاء حقوق الإنسان. نسخ الطبعة الأولى موجودة في وزارة الداخلية التونسية ودار نشر الصبار مغلقة بالشمع الأحمر لمدة ٣ أشهر وتوفيق بن بريك يدخل إضراب الجـــوع للأسبوع الثالث (٢٠/٤/٢٠٠٠)

نشكر "صحفيون بلا حدود" لتقديمهم صورة توفيق بن بريك وحسام عبد الله لتصميم الغلاف

الثلاثية الأولى ٢٠٠٠

الطبعة الأولى

ISBN: 9973-835-03-4

إلى توفيق بن بريك

الصبي الذي أَحَبَّ قطّاع الطرق والحمير

" لا تصالح

... ولو منحوك الذّهب

أترى حين أفقأ عينيك،

ثم أثبّت جوهرتين مكانهما ...

هل ترى ...؟ "

" و هل تتساوى يد ...سيفها كان لك

بيد سيفها أثكلك ؟ "

أمل دنقل

الوصايا العشر

الآن أصغِ إليَّ

ماذا في رسمك ؟ صورة راوي النوادر. تشير عليّ بالموهبة وتمحو عنّـــي حـــذق الحرفيّ. اراك لا تعني مشقّتي. اليوم السوق والساحة والشارع في رقادٍ. هنا النـــاس في حِلَقِهم امتهنوا الحديث. وحاجة المدينة إلى ما يسلّي مسمعها حثّت ألسنتها على فرز أصوات توهم بـــــها صـــمتها. البقـــاء للجالس.

أُذكُر أن المدينة عُمّرت لإعلاء اللفظ. أرصفتها ومعابدها ومـــسارحها أُفْـــضِيَتْ للكلمة. يحاذيها مبنى استوت عنده مصداقية إبليس، برّرتها العقول: رضوان الوهّاب في صلوات خلقه لوحده. وآدم مخلوق مهان، السجود له علامة إشراك. كيف اســـتأنس شهريار شهرزاد ؟ دون حياء يدلي إليـــك

الجالس : فسح السندباد ومصباح عـــلاء الدين لِـــحافٌ لشهرزاد الجارية الغلام... كان شهريار يغدر بخارق خلفه وحاملـــة مُتَقَدِّمِهِ. نطقهم المنـــزّل حدّ الجهر تليـــه تلاويح الأيادي وتعابير الوجـــه وبريـــق الأعين. إنك تلتمس في حديثهم طـــيران البهلواني. فاعترف بالشاعر. لكن لا تنف أهم غالبا ما يتأخّرون عن الصواب. تظنهم يتابعون قصدك، فتفاجأ بطالع غفوهم. تثير معهم حاجة العربي في عِوَضٍ للهـــذيان، فينتبهون إلى تجاعيد الجبين. أنـــا أخـــشى زحامهم رغم هرائهم. حريفـــي يهـــوى الجدل وإمتاعه من النادر.

في حال مضى كنت متكلما بارعا. وفقط. حذفت ثقيل خصائلي وصغت لفظا يرنّ في

كلّ أذن محنّكة. لكن لا وسع لدي للتربّع كَنَفَ ذاكرته بعد الترويح. مرتبة الراوي في تهذيب أدوات حرفته. أجرته رهينة إتقانه الحديث. الآنَ أصْغِ إليَّ...

أَضَعُ نادرتي مزامنة للعصر. ناس مـــن تصوّري سيتقمّصون أدوارها. وعوض لغو الحيل ستستمع إلى قول وقـــح.أباشـــرها بفضل أشخاص ثلاثة وفكرة. فكرة التتلمذ وحل ألغاز الحرفة. سأكون ضمن الخطيب والشيخ المؤدّب ثـــالثهم. مـــصادر هـــذه الخواطر ملازمتي لأغلب أطوارها واحترامي البالغ لمقام الخطيب وللمعلّم.

تقول أن اختيـــاري نتـــاج إلمـــامي بالموضوع، ومن ثمّ تأييدك لما سبق وقلته في مرتبة الرّاوي" كمّ من العرق وشيء بسيط

من الخصائل" حاصل. صواب اعتراضـــك أفصح بتتمّة غابت عني. أنت أذن صاغية. لنواصل.

جوانب من شخص الشيخ المؤدّب مخفيّة. في الأثناء ستبرز صورتي وصورة الخطيـــب عالقتين. أنا... فاشل. مردّه فرز المنـــاظرة وضوابط ارتقاء المنصّة. لا أنكر استحسانهم محاولاتي في البداية... لقّبت بالزّير... في النهاية تافه لا جدال فيه. هو... قيل عنه خطيب. رقعة الموالين إليه تتّسع. شـــرذمة ضالّة : هي مترلته لدى الشّرفاء. لو قذفوه بغير ذلك لاغتاظه الحال.

قيل عنه أيضا : صاحب نزوات. وتفرّغـــه دليل قصوره على حلّ ساطع همّه. أضيف : ذكاؤه مؤلم. لا بأس إذا صغر شـــأنك

بالقرب منه. أنا... شـــككت في كـــوني نابغة. لا أدري لماذا ؟ آنذاك أعياني الغرور، فرضخت. هو... ما شرع في إنجازه يفوق عمر ذكائنا. فلم لا يهتدي أو نهتدي ؟

سيدي، يظنّني أصيغ الكلام على هذا النحو لا لشيء إلاّ ليغفر لي تطفّلي. أجل! لقد تعمّدت نقد ذاتي الصميم، متيقّنا مـــن طرافة وقع ذلك عليك. ثمّ، أنـــا بـــصدد التأليف. والرواية زيف ألوان لا تجيء بإقرار الحقيقة. خيط الحديث يحتوي ثمرة الالتقاء وعرضا للموقع.

الحانة عنبر من زجاج تطوّقها أرصفة ضاقت من اصطفاف أشجار تأتيها طيوف من العصافير، أظنّك مثلي تقف للـــهوها المخطّط في شكل لولبيّ دائريّ مـــستطيل،

هناك في الطرف المهجور. وفرة المقاعـــد والمناضد توسّطت القاعة في انتظار قـــدوم الزبون. سبّورة مضيئة عليها سعر البضاعة. كؤوس الخمر جاهزة فوق أطباق النّحاس. حجم مرآة ضخمة تجعل من حـــضورك مشبوها فيه. لا عجب في ذلك. منذ القِدَم كان لنا مع الخمر سلوك عجيب. لا قاسم مشترك هنا. لك فيها حلفاء وأعداء. وإذا تفطّنت إلى أدقّ تدابير المزايدة التي تفرضها قبضة قدماء المتعوّدين على المكان فأنـــت محظوظ. ثم أحذر تقلبات مزاج النادل.

الحانة كمحطة أرتال الشّمال لا تأتيها من النسوة سوى العوانس وأشباه الذّكور. المحل رواق للأنذال والمتهكّمين والمهرّجين أشباه أشعب وخلاّنه. أروع صور المدح وأقـــبح

ألفاظ الهجاء تتعاقب. الكلّ يوحي بغــول الكلام.

ألا تشهد أنّني صائغ عبارات مرصّــعة ؟ لا ... كَوْنِي ثرثار وحده فاز بانتباهــك ... هل اقتنــع الــصديق ؟ لا أدري ... آن الأوان للرّبط بــين الكــلام اللاّحــق والكلام السّابق.

الملتقى. اعترضته صدفة. كــان لي مــع الخطيب بوادر لقاء قبل هذا اللقاء.

شاهدته صبيا يجرّ اللّوح والطين تحت عصا مقرئ حزين... ثم مكتمل البنيان يأخــذ على روّاد التّفسير أسرار التجارة. صــدره ملأه غبار طباشير أمّة الــصفر والبــدو، وتشريح الضّفادع وبراهين شتّى المصائب.

من يرعى أفواه "الكلام" هذه يا ترى ؟ ثمّة

مؤسسة معقّدة الدّواليب أرشّــحها لأداء الدور. والأغلب على الظّن، أن شــيخنا المؤدّب رأسها المدبّر. ذكاء الشيخ المؤدب في كل ذاكرة... عدى بهلول يتيم أمضى قضاءه يتمنّى القرب من متروكة الحبيب.

لا تبال ... نحن جميعا تلامذة هذا العرّاب!

أثناء تصوّفه، نقب الأب السيّد عن ســبل التّسرب إلى الجبّة وأعلن نبــوءة الخرافــة. بإذن منه فكّت في لمح من البصر معضلات لا تعقل ولا تعدّ. الزّواج من ثدي أرضعك الحليب مكروه، والسفر بدون جواز يجوز. من يزايد ؟ القابع لا يتحرّك. البثّ علامة اعتلائه عرش الكلام. أثر لسانه مسمّر في نوايانا. كيف نصدّق أن الغول خرافــة ؟ حياتنا لا تصدّق ! كلام في كلام.

من أين لهم بهذه الترّهات ؟ لا تآخذهم ! الكتاب معجزهم والكلام بدعتهم. الناس في استمرارهم باتوا على النسيان. نحن شظايا كيان !

أَتْرُكُكَ الحِينَ تستنطق براعة صوتي.

ازدحام اللّفظ قلب الحنجرة وتسريحه حسب نفس سريع أو بطيء تحكمه فرائض القصد المرجوّ. قرقعة العين والقاف وسكون النون والكاف موسيقى ترشدك إلى مزايا إيقاع الحرف. وعندما ينقلب الصّوت إلى دبيب وخشخشة وخرير... تكتفي الأذن. لو حدّثتك ثانية عن كون الشيخ المؤدب الرأس المدبر لالتقطت صوتا خافتا ملؤه الارتباك والتردّد... وبوادر

الوشاية. الكلام بلا "صوت حرباء" ينتهي إلى لعاب لسان وطربقة شفاه.
لنتمعّن معا في المسافة المتخطّاة. بعد أن استوى أخطبوط الرّواية، صار من الصّعب تسجيل واقعة الالتقاء. خلاصة الحديث :
جرى اللّقاء مع الخطيب وسط جوّ الحانة.
لديّ حلم قـــديم : تـــرك أثـــر طيّـــب.
لديه هدف دائم : في سبيل يوم الوفرة...
ووخز ضمير ورّثنا إيّاه شيخنا المـــؤدّب.
وإذا اختلطت عليك الـــسّبل، وجهتـــك القبلة. إلى أين إذا ؟ إلى اللّقاء، طبعا.
ها هنا إلتقينا. كالفيلة لما تخـــرّ، تلتفـــت صوب أكوام العضام المكتزة.
ربّما جئنا الحانة طمعا في لفح يجدّد فينـــا السير ؟ باطل ما تتدّعيه، هنا ســـتنحني !

ومض التدنّي بدأ عندما كان دوران العجلة على أشدّه. من جرّاء حمّى الوصول خيّل لي أن حشود المتواطئين من حولي تهلّل : أيّها البديع هبنا يوما مجيدا. هكذا ضمّني الهذيان إلى عداد الاحتياطيين.

الحانة رقعة كَرِقَاعِ الـدّول، عليهـا رسوم بقاع وقلاع. ناحية اليمين، يجلـس المسترخي على أريكة عمره الفاني، يكرّر دون ملل أحلام اليقظة.

شمالا، يركن المحترز من الجميع بدعوى أن له وحده جدارة السّير على درب الـشيخ المؤدب، والآخرون جملتهم يكذّبون. شمالا أيضا، يجلس من يدّعي العمل على إرساء صرح البيت... ناحية الوسط تُرِيحُ مـن

يستريح للتيّار القادم من كلّ حدب وصوب...

أوصيك : أوسع الجهات الشمال. وبصرك وزّانتك. فالشمال يعمّره الثرثار والمتوغّل في أرجاء التجربة، والعابر، والمقيم. ربما جالست من يجيد ردّ الكأس... تمهّل وواصل التسطير... ومن بعد اعْرَضْ طاووسك عليهم !

يوم الالتقاء. كان الخطيب أنيقا، أناقته كأناقة الفرسان. أما عن صفاء طاووسي فهو في كآبتي. وهل يخفى الكئيب. حيّانا أحدهم، من قريب والإرهاق مندسّ بين شفتيه وبريق دهاء السّاحر يعتري نظراته. "يا أهلا!" في ترحابه هذا، دعوة إلى تعمير فضاء مقعدين. وقبل أن أستعيد والخطيب

أحداثا مضت كاد النّسيان ينسينا إياها، تلا علينا المضيّف دستور المكــان ووضــعيّة زبائنه. كنتما بلا عنوان والحانة منحتكما نعمــة العنــوان. فعــلام التّكــبر إذن ؟ طينتكما من طينة الهؤلاء : قال وهو يشير إلى جمهور الحانة. بادئ ذي بــدء، مثــل قعقاع قيعان الوديان، ستعلنان عــداءكما للدولاب. لفح عنفوانكما سيتــسرّب إلى البعض منّا... ونسايره ! وفي ســرّ تــام، ستجمعان مع قلّة على بناء فرقة خفيّــة. وستندفعان كتلة ملتهبــة ... إلى وقــت يخدش التكرار فيه الاسطوانة ويجذب الملل إليه عناية المتشوّق. وتمضيان !

وبعد حجّة ميمونة. يتوب الضالّ.

الحانة ركن حنون عنده يـــدوم الاهتمــــام بإبداعكما. مولاي.. يدّعي الإبداع. على الضّالين آمين ! سيذيع الدولاب صـــيتك. إذا ألقيت قصائد دوّناها. وإذا ألّفت رواية مثّلناها. وإذا رسمت لوحة عرضناها. ولك في كلّ مهرجان نصيب. في المقابل، ارفـــع هذه الراية في كلّ مناسبة : مترلة الـــشيخ المـــــؤدّب مــــن مترلــــة الأوليــــاء !

صدقُ الإعتراف، لا أكثر !

وأنت... على ما يبدو لديك كمّ هائل من الحجج و قدرة فائقة على التّبرير... فلم لا تبسط عضويتك على نـــوادي التّـــرف، فتكسب للدولاب أعـــدادا غفـــيرة مـــن المولعين؟ ربّما جازاك الشّيخ المؤدّب رتبة سفير أو وزير ؟

لقد استلهمت خطّ مسيرتكما من مسيرة الشّيخ المؤدّب. فلم لا تعتبران به ؟ وما دام التواصل جائز، لا خوف على دوام فصيلة الشّيخ المؤدّب.

هي بنود العقد. متى توقّعان أسفلها ؟

كلامك يا هذا في النافخـــات زمـــرا ...

وتوقّف الحديث عند هذا الحدّ. ثم ســـعينا إلى النوادر نردّها. وطال بنا الحديث.

للآتي أعترف : كان المضيّف على حـــق. إنه جدير بلقب الأب المنجّم.

لقد قلّلنا من شأنه. كانت تكهّناته مؤلمـــة.

والحقّ يقال : لقد وقع الاســـتغناء عـــن خدماتنا دون مراعاة...

وحصل ما لم يكن في الحسبان : إطارنـــا الحالي، داخل الحانة، مربع يعمّره، العائـــد

على أعقابه. وعوض أن يحافظ الــدّولاب على خير زادنا -كما تكهّن المــضيف- ترك ما تبقّى إلى أياد دنيا : نروّج شـــهرة الأوّل و نرفع من شأن الثـــاني. واكتفينـــا ببقايا مكارم مائدة السفراء.

أيطيب لك الاستماع أو يضنيك الكـــلام المجرد ؟ ربما أعطيتك فرصة تضفي فيها على الحالة المجرّدة مسحة عبقرية ؟ عمدا، كنت أتوقّف عند التلميح، لكي أفـــسح المجـــال لخيالك الكسول، علّه يصوغ ما يناســـب البياض المتروك . مهارة الـــراوي في نحتـــه لأجواء يتسنى من خلالها للمستمع الاهتداء إلى فك الرموز المنصوبة. ولكـــي يـــدوم التواصل بيني وبينك، يتحول لـــساني إلى ركح يتناوب عليه عدد لا بأس بـــه مـــن

الرواة. وإن استبد أحدهم بالكلمة فسرعان ما تملّه النفوس وتهجره الآذان.

كـــنّبعلُ

كنّبعلُ[أ]

ما يخفيه الزّلاج انتشر. وكلّ ما تعنيه المدينة محتشم. العظام تفترش خرائط الدّود ليعسكر أَلِيعَازِرْ صحن المساحة ويأتي على كلّ بياض متروك.

شرائح شتّى الشّوائب علـــى أســيجة الكهربـــاء. وسجلاّت ضاقت من اصطفاف نقاط ما. يكتمــل الهلال بامتصاص دم الفريضة لتناطح أفران الإسمنت الماردة شاهقات استأنست الدّخان.

الأيادي الموغلة في الورطة، عطّلت مخاض اللّبــؤة. وزّانيّ تُصْلَى تحت تّموز الزّانية. والأذن صـــاغية إلى همس رهيف ينطق بدين لا حياء فيه. فلماذا ترتفع الطقوس لتصدر صيام القسّ طيلة دوامه ؟

[أ] كنّبعل : نحت بين كلمة "كنّبال" واسم "حنّبعل"

*كنّبال (Cannibale) : كلمة إفرنجية تشير إلى آدمي آكل لحم البشر.

*حنّبعل : قائد قرطاجي

اعرض طاووسك عقر المزايدة، وتــمّم التّسطير.
أيّ الأسواق تسع بضاعتك ؟
زجاج يعكس بريق الذّهب
تاج مُفْتَكّ
وعاج أجدادي منجم برهاني.
هذه المكائن تجترّ سلاسلها، فلا تصرف النظر عــن معدنها. وهات كفاح كفّك، أرشدك كيف تصافح يمين الهؤلاء[ب]. وأطلق عنانك للكبوة ولا تكــبح صهيل جوادك ففي عناقه فدائي.

(ب) – الهؤلاء

سألني : هل أنت من الهؤلاء ؟

قلت : لست أدري...

قال : إذا لم تكن أنت من الهؤلاء، فأنا حينئذ من قومهم.

ولحة السائل : كون الهؤلاء، حمالة الخبر، الواشون، البصاصون ، حاشية الأمراء.

إسكافي الجزمة الخرقاء
يفسح المجال لغول الحفاء

جرّار الكوارث تلو الكوارث تذمّر من خلـــود ذي الرؤوس الألف.
أيّ أرق جدّ،
وأيّ صوم لابدّ !

الحقبة نافذة للقديم ولا نبأ في الحاضر.
ليس من المستبعد في ربوع لم يطأها الثّلج ولو لمـــرّة
أن ترمز الشّمس فيها إلى القاتم المحدق.
لدفء العتمة حظوظ أوفر

ابرق ويلاتي
لا أمان لمن لا مَشْكَايَهْ لديه
أحنّ إلى كسوف يعود
أوصيك : بيت النّهب للسّلب

وإذا اختلطت عليك السبل، هيئ الإسفلت لبـــاقي
العنوان
ولا تدع أمد نهجك ينحـــدر طـــوال الـــشّاحب
وذكّ شرخ أفّك الدّامي
يتحمّم الفحّام فيه.
وانْبُشْ قاعدة الجبّ لا أعلاه
يفاجئك القرن مجسّدا في الصّخر والحركة.

غرّة السّنين

جانفي ينجب جانفي

لمّا ينحبس الترتيل
تحت التبشير بيوم الجيل
تَأَدَّبْ !
آذان تختلس ألواح الخبر
وبلمح البُرَاق انتشر.
حجارة سود تبتاع
في عكاض بلا نذر...
تَقَرْمَطْ
قبل أن يسدل
العبّاس
عشاء العصر.

تنهض تحت دقّات منبّه حلوب
سكك تتزوّد بالعربات
حذاء تسوقه شوارع تفر

رشّاش يكنس الأرقام في مدار الفسفاط

حَــــرْبِـــــــيّ

لا تتمهّل البساط
الخرطوش كرّ وفرّ !
وجها لوجه الزيّ
اختطف فينة للميعاد...
يا أمّ تونس
عرض الضّيافة في حماك
الرصاص يدرسني...

في استراحة المدرسة
دبيب ودواليب
وما تبقّى سوى
لجة مرميّة

ومنديل بريء
وصفّارات تتعجّل الخطر !

الدّم الملقى في الشّارع الرئيس
والجبل والرّيف
تحتسيه فوهة البديع...

جانفي ينجب جانفي
ومنه تتسلح بلا دين
أيها البديع
هبنا يوما مجيدا.

فَـــــرَسُ النَـــــــارْ

مثّلت الرّهان يركض مع الخيل حتى النّيل
مربّع المجازف تصدّه الحوافز

فرس النار
ملطوخ الصفائح
يلوي اللّحظة للرمق

أتعرّى أمام الصّرعة، حتى لا يثق نبض الحرارة بقبضة الهامد.

يا خاطفة وثبة الفرو، تبني النجمة علـــى الجـــبين وأعيريني الثّبات من حوافر ثباتك، فالتريّث يكتـــف مهارة فرسانك.

على الحدّ خيول البرّ تحيطك بتهاليل السير. فتحة في الصدّ ونيّة الهرب قبل طاعة الجرّ.

كم كَشَّافٍ خَبَّأ الشقّ في التَرَاصِّ ؟
كم حاجبٍ خاط الستر بغول الكلام ؟



الطائر الحزين

مهاجر على أعقابه
نيّة البعاد
وقصاصة يُعَادْ
ووجبة الذّهاب والإيّاب
لام وجه التّهاطل
والتّخلي عن المصاب
دوام المسافر قي أُهْبَةِ السّفر
والطّاقم في حزمة الطّلب
ينهمر الرّغاء
ونِيلُ الحاجبين في المروحة
طالعوا حدود السّفر
ولوّحوا بمناديل التّفل

إلى الجريصة
سنوات الدفء و الطّعام الشهيّ

طاولة يوغرطة

الشّمس طُلِّسَتْ من السماء
المضخّات ترعد في السّبات
أرتدي عطف البَرَانِيس
وصحوة تحتضن الحديد.
الجبل يزخر بالقرميد الأحمر
ونوادي المسيح
والصّفح الخالي
مستوطنة العشب
والخنفس !

سعي وحيد البدلة إلى الدّواميس
كسعي البحار إلى الزرقة.
التواؤها يدمي مطّاط الشّاحنات
غنّيتها
مهرجانا للفراق !

نبوءة الأنثى

في عصمة النساء

قبّعة المطهّر من صابون

يقترن إصبعي بأفران المطبخ وحبل الغسيل

لولا سياط الحجاج

لما هاجرت حروف الشين والياء والميم

عانق الطلق والطرد

ولا تأتي مثلّجات الثلج

عِمْرَانْ

قرقعة ع...ك

دنّسها الناطق باسم...ك

ليلى تشتهيك

وتقتل الملكة

اقفل حانتوك

قرطاج لا تُشَاطِئُ الاطلنطي

جحا

ضحكتك انفلقت مدى النباح

كُفْ أيّها الكلب !

آدمية

خَلِّ عني،

فابنك يتيمّم بالورق !

وانتم يا نؤاسيي افريقية

تونس في جيدكم مرسومة على قطعة نقدية

وسبيطلة كَافِشَنْطا لمسلككم الصفر

في المنام

ثريّا ثلجيا يرتدي جلبابا ازرق

والشوك ينخر باطن خرافته

والدمع يغمر ثروته

اليوم
تتحرك القاطرة من كل مكان
تاركة خلفها رقعة الولاء
التي تتّسع
تتّسع
تتّسع
حدّ مشارف الأرض.

مَضْحِكْ حَبِيبَه

"لعج البرق علــى حواشــي

الكاف

تمادى حتى بر عَبيدَه

ظنّيتو برق ربّي

ظهر مضحك حبيبه..."

الهائم على سطح الماء

لم تروه العثرة بعذوبة زمزم.

أحببت سجّادا يطير

وسركا صبيّا

سمّني الهديّة

لأهديك !

دقيّ خبر وفاتي

دليلي تصوّف الخوالي.

المعطّر بفيروز السّفر
يحيل مخيّلته على مشهد
من ترانيم المَلُوفْ

جرابي يتسوّل عصفورا انتحر
وغيمة لن تمطر
تَكَهَّنْ...

رقبة الرّضيع
محفوفة بهالة الزّنا
لا تغريك عناقيد الغيرة
المتدلّية كطحين عسل الشّهد.
لي مساحيق الضمد !

حرفيّ اللفظ

داهيّة يأمرني التّدوين

وغايته التّرويج،

بلهجة الأقاويل.

وانصرفَ يروي

قضم الأظافر

وختان المدبّب.

من وحي بساط الكاغظ المقوّى

لَامٌ منصوب محلّ

وَاو الغول

وشارب المهبول منشغل

بسيف مسلول

وزورق مذبوح

خطر ببالي

كشف عرفاني

مارتون في الصدر

حروف تتدحرج من الحلق
إلى ضَرْبَةِ الطّلق
وهيهات مبتورة تطرق
حَلَبَةِ الصّبر.

أنبوب حبرٍ جاف
لقطة شريط مباحة
قذفة هدّاف الشباك
شرود الألف
من أبجديّة النّص
وومضة سفينة
أبْحَرَتْ في الجَبْرِ !
البيادق تحنو على الرّقاع المبقّعة
ليحيا البرج والمعركة.

قرطـــــــــاج
قبر موحش لا جثة فيه

لأنّي لفظت التجاعيد من الوقار
لأنّي ظننت الغول خرافة
لأنّي صقلت أضراس الأطلس
لأنّي تعاضدت و المأرضة
تبخّر الوضّاح من رسمي المعلّق

قرطاج
فسحة رحّالة بين أدران الشرق
غفوة اليقظان حين حلّ التتار
خُفُوتُ الصّدى

سقوط العمى.
الوهم راسخ والتنّين يحلّق فوق الباطل
البحث عن الينبوع والمصبّ متواصل
والقطيع يردّد :
"أوليس في نأي الأنبياء أفول الظلال ؟"

يا حارسة النادر،
هبيني خشبة غوث مثقوبة
ودع الفراش يناجي الدّجى
فريش الحمام مغموس في الحبر
وحول القبح جبّة.
الدردور يصفّر في أرجاء جوف الصّفر
لتضيق الحلقة حدّ النقطة.
أكتفي بمرتبة الحمير
أكتفي بمرتبة البعير
وعلّمني النسيج بأناملي
لعلّ البرق يصحو
فينفخ في تربة الفطر !
لون الزنوج في السّرداب
ويد اللّهيب تمتدّ حتى الجليد
لتلتقط من فوق تلّة المتربّع

ثمرة السراج !
المجد خرّ وصاح :
"الحقيقة ذيل زاحفة عند الانفصال !"
أيّها الدلو مفتون الماء
اهتد للناعورة وعدّد تنازلك.
جوار يقتدي بجار ألهب مهلتي
إلى هنا تقصد مطلعي
إلى الصّديق والصّديق والصّديق
جفّ الجود من وطائي الطائي.
تقيم الزفّة
وتزجّ ذيلك لفاف عرائسي.
قرطاج قبر موحش لا جثّة فيه
بيضة العاقر الأحد
عتبة تخطّاها الزحام.
يغدو الغظنفر درب كالكامش الملك الفيلسوف

وعوض أن يَهِبَ نبات الخلود
وهب الدّمار.
مطمور روما زاده وزوّاده قرطاس من ورق
أَكِيلُ فيه حَلْفَاءَ العطش

استنشقْ عصارة الآخرة
واستلِفْ وصلا من رفاق المغفرة
لأستضيف بُخَارَكَ على القائمة.
قرطاج منبت الحشيش
خيبة في مذكّرة حرام
وملامة في الأثناء
وأخرى تتكوّر مع الأيام.

الصّفا ...والمروة

العرق المتدفّق من رعشة الإبط المتدثّر بالقيلولـــة واهتزاز ظهيرة طوّق الحَرُّ فيها نبض ساعي المنهوك جرّاء ارتوائه الدّنيا، يتصابّ في ثقب جلد تـــصطكّ القشعريرة، ومن حوله كوم علف ملقّح بـــأقراص الدهر الجالس القرفصاء قفاء المتنفّس في ارتجاف فرو البهائم واختلاجه المفترش عباءة الدّعاء الدّامس عبادة للمجهول السّاجد أمام معدومة ألوان العمر المضاف في منتهى عشّ اللّجوء عين الحيّ وحسّ المقيم نواحي العواصم لا القرى المحراب المرمّم بنوبة تتالي الفيصل السّاطع والبيّنة الخيار حتّى فيافي شَيْدَ البقاء المتلاشي

والعبوءات الفجرية لطف حال بسطاء طاولـــة الآن محتشد أزمنة المناورة المتقدّمة قدّام الطوارئ عُـــذْرَ الملوّح بالاضرام الاشهار وانفلات الدّفعـــة تحـــت الضغط واحتواء جمهرة الرّاسيات بين غاب مألوف وغالب يقتات النّسب من آل محفوظ ظهر كـــيس الحطب المدهون بمرهم المطافي اليانع وتمطيط النعاس طول القطب المكتسح طبقة الفولاذ الخـــاوي مـــن الصّلب مانع تسيّب الميمون عبر السودان، فوق ابل العربان بوصلة الموثوق إلى الألواح المطليّة بـــالطّين والرّقاع الشّراعيّة مفرّ العاتيات الهادفـــات للـــسفر الظفر.

فهـــــرس

"جرى حديث بيني ومارون عبود فقال لي: فما الشعر إلا عود أوتاره ألفاظه يصففها الشاعر ويصلحها لتخرج اللحن الذي يود ...

والشعر والتصوير تؤامان مداده‌ما ألفاظ وأصباغ.

تترك الشمس عند المغيب مشاهد وألوانا فتانة، والفنان الجبار يلتقط تلك المشاهد ويقيدها.." "على المحك"

رغم دخوله الاسبوع الثالث للإضراب عن الطعام، كان يملي علّي هذا المقطع بصوت الشاعر وحساسية الإنسان المرهف الذي تعرفت عليه في تونس. لم تتعبه محاصرات الأمن و لم يتعبه الجوع، رفض الحديث معي في إيقاف إضرابه عن الطعام ولو قمنا بإضراب جماعي تداولي حفاظا عليه وعلى صحته. كان يفكر في مفهوم الشاعر المبدع للكرامة والحقوق.. أي المفهوم الذي يعتبر أي تنازل للتسلط فقدانا لجزء أساسي من الذات. صرخة أخي جاوز الظالمون المدى من المناضل توفيق بن بريك ليست فقط صرخة الدفاع عن المجلس الوطني للحريات الذي يشارك في قيادته، أو دار نشر سهام بن سدرين "الصبار" التي حملـــها في وجدانه، أو شهادات الضحايا من كل لون واتجاه الذين أبصرهم بقلم الصحفي الجريء.. إنها صـــرخة الأب الذي لم يعد يحتمل الحرمان من السير في الشارع دون مرافقة طفله خوفا من الإهانة، الغجـــري العاجز عن تخطي حدود تونس لمصادرة أوراقه، الأديب العاجز عن التعبير عن نفسه لمصادرة كتبه..

لك أيها الصديق هذه الهدية وأنت تخاطر بحياتك من أجل حق المواطنة للجميع .. من أجل الكرامة في صحراء كما قلت بالضبط، عارية قاحلة.. يمنعها من الموت صرخات مقاومة تأتي من بعيد جدا، ولكن عن كثب

٢٠/٤/٢٠٠٠ هيثم مناع